التناوب الدلالي للصيغ الصرفية (اختلاف الصيغ مع ثبات الدلالة)

دراسات صرفية دلالية

د/ عبدالله البسيوني
قسم اللغة العربية
كلية اللغات– جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا

Al-Madinah International University
Shah Alma, Malaysia
Dr.abdallah@mediu.edu.my

[القصص / 8]، وقرئ: و (حُزْنًا) – بالضم -، كـ " البَخَـل " و " البُخْـل " لغتان حسنتان [1].
وردت في الآية كلمة " حـَزَن " بفتح ففتح على قراءة، و بضم فسكون على قراءة أخرى، وهي في كلتا القراءتين تعبر عن معنى واحد، هـو المصـدر الـدَّال على الحدث المجرد من الزمن؛ ولذلك تحقق فيها الترادف بين صيغتي فـَعـَل وفـُعْل، ويرجع ذلك كما يبدو إلى اختلاف اللهجات، حيث مالت بعض القبائل العربية إلى النطق بالفتح فالفتح في هذه الكلمة، ومالت قبائل أخرى إلى النطق بضم فسكون، ونجد انسجام النطق في كل صيغة منهما، ومما يؤكد ذلك قول الإمام الفخر الرازي: " قرأ حمزة والكسائي (**حزناً**) بضم الحاء وسكون الزاي والباقون بالفتح وهما لغتان مثل السَّقم والسُّقم" [2].

2- فـُعـْل و فـُعـُل:

ومن نماذج ورود ذلك في القرآن الكريم:

أ – ورد في قوله تعالى **(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كـَفَرُوا الرُّعْبَ)** [آل عمران / 151]، قرئ (الرعب) : بضم العين وإسكانها [3].

أرجع أبو حيان الاختلاف في القراءتين السابقتين إلى اختلاف اللغات قائلا: " قرأ ابن عامر والكسائي (الرعب) بضم العين والباقون بسكونها فقيل لغتان، وقيل الأصل السكون وضُم إتباعا كالصَّبْح والصُّبْح، وقيل الأصل الضم وسكن تخفيفاً كالرّسْل والرُسُل " [4].

ب –كما ورد في قوله تعالى **(فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ)** [البقرة / 283]، قرئ (فـَرُهُن) على وزن " فُعُل " بالضم،. . وقد خـَفف قوم فقالوا (رُهْنٌ) [5]

ج- كما ورد في قوله تعالى (**كـَأَنَّهُم خُشـُبٌ مُسَنَّـدَةٌ)** [المنافقين / 4]، وقرئ: و (خـُشْب) بالإسكان. فـ " خُشـْب " مِنْ " خَشَبَة " كـ " بُدْن " من " بَدَنـَة " والتثقيل مثل "أسـُد" و"أسـْد" [6]

في الآية الأولى حدث تغير صوتي في بناء " فـُعْل " وذلك بضم حركة العين ليصبح "فُعُل" وذلك لمماثلة حركة العين حركة الفاء المضمومة بالضم، وهذه الظاهرة ليست إلا الميل إلى الانسجام بين الحركات داخل الصيغة، وهو اقتصاد عضوي في النطق يلجأ إليه المتكلم دون شعور أو تعمد، كذلك يؤدي هذا الانسجام إلى طول الصيغة عن طريق زيادة مقاطعها من فـُعـْل إلى فـُعـُل مما يؤدي إلى التماثل بين مقاطع الصيغة.

أما في الآيتين الثانية والثالثة فحدث تغير صوتي مضاد لما سبق حيث خفف بناء " فـُعـُل " الذي ورد في كلمات " رُهُن و رُسُل و أُكُل و سَقـُف و خُشـُب **و** أُسـُد " إلى " فـُعْل " لتصير " فـَرُهْن ورُسْل و أُكـْل و سَقـْف و خُشـْب **و** أُسـْد "، وهذا التغير الصوتي يحدث للتخفيف عن طريق تسكين حركة العين المضمومة، ونلاحظ في كل ما سبق أنَّ التغير الصوتي لم يؤثر على دلالة الكلمات وإنما كان لانسجام الصيغة فقط.

3- فـُعْلـَى و فِعْلـَى:

ورد في قوله تعالى (**تِلـْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)** [النجم / 22] وقرئت بالهمز ضئزى [7].

قال الإمام الفخر الرازي في هذه الكلمة: " (ضِيزَى) قُرئ بالهمزة وبغير همزة، وعلى الأولى هي (فِعْلى) بكسر الفاء كذكرى، على أنـَّه مصدر وصف به كرجل عدل أي قسمة (ضائزة) ، وعلى القراءة الثانية هي فـُعلى وكان أصلها (ضوزى) ، لكن عين الكلمة كانت يائية فكسرت الفاء لتسلم العين عن القلب، كذلك فعل بـ (بيض) فإن جمع أفعل فُعل، تقول: أسود وسود، وأحمر وحُمر

[1] - ينظر حجة القراءات 542
[2] - تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير 24 / 195
[3] ينظر: حجة القراءات 176
[4] - البحر المحيط 3/ 83، وينظر: تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير 9 / 27
[5] ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 277
[6] - ينظر حجة القراءات 709
[7] - ينظر: النشر في القراءات العشر 1/ 447

وتقول أبيض وبيض، وكان الوزن بيض وكان يلزم منه قلب العين فكسرت الباء وتركت الياء على حالها، وعلى هذا ضيزى للمبالغة من ضائزة؛ تقول فاضل وأفضل وفاضلة وفضلى وكبير وأكبر وكبيرة وكبرى، كذلك ضائز و (ضوز) و (ضائزة) و (ضوزى) على هذا نقول (أضوز) من (ضائز) و (ضيزى) من (ضائزة) " (8).

مما سبق يتبين أن كلمة " ضِيزَى " أصلها " ضُيْزَى "، وهنا نجد أن تغيرًا صوتيًا قد حدث للكلمة هو الانتقال من الضم إلى الكسر في فاء الكلمة، وقد ترتب على ذلك أن تحول عين الكلمة من حرف صامت إلى متحرك ليلائم الكسرة؛ نظرًا لأن الحرف المتحرك هو الياء وهو بمثابة الكسرة الطويلة التي تعد الكسرة جزءًا منها، وبذلك تم العدول من " فـُعْلـَى " إلى " فِعْلـَى " ولم يكن هناك تغير في دلالة الكلمة مع هذا العدول، وبناء "فِعْلى" ليس من أبنية الصفات بإجماع النُّحاة وإنما جاء " فِعْلـَى " عنهم في الصفات في حرفين أو ثلاثة (9)؛ حكى أحمد بن يحي "رجل كيصى" وحكى غيره مشية حيكى، وحكوا أيضًا "رجل عزهي" و " امرأة سعلى " والصحيح " عزهاة " و " سعلاة " (10) ، والقول في "مشية حيكى" مثل " ضيزى " أي أن أصلها حُيْكى ثم كسر فاؤها لتصبح حِيكى، وأما كيسى فقال عنه أبو علي إنه منون فلا يخالف ما قاله سيبويه، ومن ذلك يتبين إجماعهم على أن بناء "فِعْلى" ليس من أبنية الصفات.

4- فُعْلـَة وفـَعْلـَة:

ورد في قوله تعالى (**خُطُواتِ الشَّيْطَانِ**) [البقـرة / 168]، فـ (خُطْـوَات) يقـرأ بضـم الطـاء وإسـكانها فالحجـة لمن ضـم أنـه أتى بلفـظ الجمـع على حقيقـة مـا وجب لـه لأنـه جمع خطوة، والحجـة لمن أسـكن أنـه خفـف الكلمة لاجتماع ضـمتين متواليـتين وواو فلمـا كانوا يسكنون مثل ذلـك مـع غـير الـواو كـان السـكون مـع الـواو لثقلهـا أولى ومعـنى خطـوات الشـيطان طرقـه والخطـوة بفتح الخاء الاسم وبضمها قدر ما بين قدميك (11).

والخطوة بالضم تعبر عن معنى الاسمية، والخطوة بالفتح تعبر عن الحدث أي المصدر، جاء في لسان العرب " خطا خطوا. . . والخطوة ما بين القدمين " (12) ، فالقيمة المورفولوجية(13) لكلمة خطوة تكمن في ضم الخاء ليعبر عن الاسمية، مقابل مورفيم الفتح في " خطوة " ليعبر عن معنى المرة الواحدة، وقال ابن منظور: " الخطوة بالضم ما بين القدمين. . . وقيل: الخـُطوة والخـَطوة لغتان، والخـُطوة الفعل، والخـَطوة بالفتح، المرة الواحدة " (14).

5- فـُعُول و فِعـُول (فعول قد تكسر فاؤه إن كان ثانيه ياء) :

ورد ذلك في قول الله تعالى (**وليسَ البِرَ بأنْ تأتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**) [البقرة / 189] قرئ (البُيُوت) و (البِيُوت) بالضم والكسر، فالضم هو الأصل لأنَّه على وزن " فُعُول " مثل كَعْب وكُعُوب (15).

6- مَفـْعَلـَة و مَفـْعُلـَة:

ورد في قوله تعالى (**فـَنَظِرَةٌ إلَى مَيْسَرَةٍ**) [البقرة / 28.]، وقرئ (مَيْسُرَةٍ) لغتان بضم السين وفتحها (16).

ويرجع الاختلاف في الصيغة بين مَفـْعَلـَة بفتح العين و مَفـْعُلـَة بضم العين إلى اختلاف اللهجات العربية، وذلك لأنهما لغتان يعني

---

8 - تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير 28 / 257، وينظر: البحر المحيط 8/ 152

9 - يقصد بحرف هنا الكلمة

10 - انظر: المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: د. علي بو ملحم 1/ 251، والسعلاة: الصخابة البذيئة، والعزهاة: العازف عن اللهو والنساء، والرجل الكيص: الذي يأكل وحده، وقد كاص طعامه إذا أكله وحده 0

11 - ينظر: الحجة في القراءات السبع ص 91

12 - لسان العرب 14 / 231

13 - المورفولوجيا: مصطلح حديث يطلق على علم الصرف. ينظر: معجم اللسانيات الحديثة (إنجليزي-عربي)، د. سامي عياد حنا، وآخرون، ط1997م، مكتبة لبنان. بيروت-لبنان: (Morphology).

14 - لسان العرب 14 / 231

15 - ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 258

16 - ينظر: النشر في القراءات العشر2/ 270

أنهما قراءتان، والقراءات يرجع التعدد فيها إلى اختلاف اللهجات لأن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف تشمل اللهجات العربية ولذلك لم تتغير دلالة الكلمات بالنطق على البناءين، فلم يتبع التغير الصوتي فيها تغير دلالي كما هو ظاهر.

ويؤكد أبو حيان أنَّ القراءة بالضم والفتح لغتان، وينسب كل قراءة إلى أصحابها ثم يرجح النصب في قوله: " قرأ نافع وحده (ميسُرة) بضم السين، والضم لغة أهل الحجاز وهو قليل كمقبُرة ومشرُفة ومسرُبه، والكثير (مفعَلة) بفتح العين، وقرأ الجمهور بفتح السين على اللغة الكثيرة وهي لغة أهل نجد، وقرأ عبد الله (ميسوره) على وزن مفعول مضافـًا إلى ضمير الغريم وهو عند الأخفش مصدر كالمعقول والمجلود في قولهم: ما له معقول ولا مجلود، أي: عقل وجلـَد، ولم يثبت سيبويه مفعولاً مصدرًا، وقرأ عطاء ومجاهد إلى (ميسُرِه) بضم السين وكسر الراء بعدها ضمير الغريم " [17].

المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس . الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية 1984م
- الأصفهاني (ت 502 هـ) ، تحقيق / إبراهيم شمس الدين ، منشورات / محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- الألوسي . شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت 1270 هـ) . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان

الباقولي . أبوالحسن علي بن الحسين الأصبهاني . (ت 543هـ) ، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات - تحقيق : د/ محمد أحمد الدالي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة الصباح1415هـ - 1995م

[17] - البحر المحيط 2/ 355، وينظر: تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير 7 / 90

- البيضاوي - ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفي 685هـ . تفسير أنوار التنزيل و أسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، دار الفكر – بيروت
- الجرجاني . الشريف علي بن محمد . التعريفات ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان[د.ت]
- الراغب الأصفهاني . أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت 502 هـ). معجم ألفاظ مفردات القرآن الكريم - تأليف / العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب
- رضي الدين . أبو الفضائل الحسن الاسترابازي (ت 715 هـ)، شرح شافية ابن الحاجب - تحقيق د / عبد المقصود محمد عبد المقصود ، الناشر : مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى 1425 هـ - 2004 م
- رمضان عبدالتواب .الدكتور . التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ،و دار الرفاعي بالرياض 1404هـ - 1983 م
- الزبيدي . محمد مرتضى الحسيني . تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية
- الزمخشري . أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت 538 هـ) . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ). الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار النشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى
- الصبان . محمد بن علي (ت1306هـ)،حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - تأليف : دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة [د0ت]
- أبو الفضل العسقلاني أحمد بن علي بن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م
- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671 هـ) ، الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي - تأليف: ، دار النشر: دار الشعب - القاهرة
- محمد حسن جبل . الدكتور . أصوات اللغة العربية ، الطبعة الثانية 1402 هـ / 1982م